مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 05 العدد: 01 (2021) ص 48/ 58

المراجعة اللسانية لمفهوم السماع لدى عبد الرحمن الحاج صالح

Linguistic review of the concept of hearing by Abd al-Rahman al-Hajj Salih

أ ، خثـــير عيسى *
المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت - الجزائر
aissa22khatir@gmail.com

معلومات المقال

- تاريخ الارسال: 2019/04/27
- تاريخ القبول: 2019/09/17

الكلمات المفتاحية:

- الحجاج،
- الديداكتيك،

الملخص:

شكّل السماع أحد الضوابط اللغوية لدى علماء اللغة العرب القدامى، وقد أسسوا ضوابطهم وفق منهج معياري لحصر اللغة العربية وجمعها وضبطها؛ ممّا أسهم في ضياع الكثير من المعجم اللغوي العربي الذي لا يتوافق مع المقاييس الصارمة التي وضعها أولئك العلماء ، فقد عدّ السماع مقياسا لسانيا يعتدّ به في جمع اللغة العربية وإن كان التوسّع في اللغة العربية لا يرقى إلى كل ما سمع من العرب، فهذا التجاوز المعياري الذي اشتدّ فيه علماء اللغة القدامى، أضرّ كثيرا بمرونة اللغة العربية وبرغماتيتها واتّساع استعمالها الوظيفي .

ومن هذا المنطلق نجد اللغوي الحاج صالح يعيد قراءة مقياس السماع وفق مرجعية لسانية، وذلك بالعودة إلى النصوص التراثية وإعادة قراءتها قراءة

* المؤلف المرسل

- ✓ العملية التعليمية التعلمية،
- ✓ المثلث الديداكتيكي.
- ✓ علم النفس التربوي.

لسانية حديثة، دون إسقاط تلك المذاهب والنظريات اللغوية العربية القديمة أو الاستغناء عنها وإنما صياغة لغوية تنطلق من التراث لتبني جسورا مع منطلقات اللسانيات الحديثة، وتتمظهر ضوابطها في المنطوق والمسموع والمكتوب وتقفز عن العصبية الضيقة التي مورست على ضبط السماع، فالحاج صالح في محاولته الجادة في استحضار الدرس اللساني الحديث وإعادة رسم خطوط السماع وضوابطه، يكون بذلك وضع لبنات للموروث اللساني العربي بنظرة علمية شمولية .

لذلك يبقى مفهوم السماع يترجح وفق ضوابط غير دقيقة عند القدامى، فهل استطاع العلامة الحاج صالح أن يقتفي الآثار السلبية الناتجة عن التضييق في ضبط اللغة العربية ؟ ما هي المآخذ التي وقف عندها ؟ وماذا أضاف من اسهامات لسانية لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي ليعيد تشكيل مفهوم السماع ؟ وما هي المرجعية اللسانية التي اتكأ عليها ؟ ؛ كل ذلك نحاول أن نتبيّنه من خلال هذه الورقة البحثية

Abstract :

As-samâ' was one form of control exercised by ancient Arab linguists. These forms of control were instituted according to a normative process with the aim of defining the Arabic language, the collection. This has resulted in the loss of a large quantity of the Arabic lexicon which does not conform to the requirements they have. In the sense, as-samâ 'conceived as a linguistic criterion for the collection of the words of the Arabic language, cannot embrace everything, and therefore can constitute an obstacle to the good knowledge of the flexibility of the Arabic language.

It is from this observation that the Algerian linguist El-Hadj Saleh undertook to re-read the criterion of 'as-samâ' from a linguistic perspective, by taking up the texts of the ancients with a view to a modern linguistic re-reading, not without taking into consideration the doctrines or theories of ancient Arabic linguistics or dispensing with them, but rather in order to reformulate the question in modern linguistic considerations, a

Article info

Received
27 / 04/ 2019
Accepted
17/09/2019

Keywords:

- ✓ *Didactic ;*
- ✓ *educational;*
- ✓ *learning;*
- ✓ *process;*
- ✓ *didactic; triangle.*
- ✓ *Educational*
- ✓ *Psychology;*

reformulation whose criteria will be revealed as well in what is pronounced as in what is perceived and written. El-Hadj Saleh, by taking seriously the acquired knowledge of modern linguistics and reformulating the main lines of as-samâ 'marked to found the Arabic linguistic tradition in a global scientific perspective.
We therefore propose, in this work, to question the work of linguist El-Hadj Saleh by asking the following questions: Was he able to grasp the harmful engines that the reduction in the collection of Arabic had caused? What criticisms has he formulated on this subject as well as these contributions in his quest to reformulate as-sama '? What are the theoretical bases on which it relied.

. **مقـــــــدمة:** إنّ المراجعة اللسانية لأركان تدوين اللغة العربية يعيد انفتاح الدرس اللغوي العربي الحديث ويسهم في تطوره ونماءه وهذا التحديث لا يفهم منه أن يكون حكرا على المباحث اللسانية، فهو كغيره من العلوم الأخرى، يتوق إلى إعادة تشكيل وصياغة المناهج التقليدية التراثية التي اشتغلت على ضوابط ومعايير ومقاييس ساهمت في تحديد بعض المفاهيم اللغوية التراثية ، فعبد الرّحمن الحاج صالح لم يتنكر لما أنجزه العلماء العرب القدامى ولم يلغ تلك المنجزات فهو يعيد تقييمها وتقويمها بما يتوافق مع علم اللغة الحديث ، فهل كانت تلك المباحث اللغوية لها ضوابط تقعيدية ومنهجا علميا يحكمها ؟ وهل استطاع السماع أن يحقق الكفاية اللغوية ؟ وإلى أيّ مدى أعاد العلامة عبد الرّحمن الحاج صالح التراث اللغوي العربي إلى وهجه العلمي ، باستخدام المناهج الحديثة في إعادة قراءته؟ وفهم الدرس اللغوي التراثي ينطلق من تجديد المنهج والرؤية الفكرية للوقوف على ما أنجزه العرب وما حققوه من منجز لغوي يتوافق مع الدرس اللساني الحديث ، فليس كل تلك الجهود المضنية التي قام بها العرب كانت مخيبة للآمال ، وهذا ما حاول العلامة عبد الرحمن الحاج صالح أن يتقفى أثره ، انطلاقا من أحد أركان تدوين اللغة وتحصينها وجمعها ، وهو السماع والذي وصفه بالسماع اللغوي العلمي ، فإطلاق صفة العلم على السماع يثبت ما مدى أهمية التأصيل العلمي لدى اللغويين العرب القدامى .

أ / مآخذ عن شروط السماع :

يستند عبد الرّحمن الحاج صالح على الأصول العلمية في إعادة صياغة مفهوم السماع دون تعسف أو اسقاط المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة، ولا يرى في المقولات اللسانية الحديثة المرتكز اللساني الذي به يتم تقويم التراث اللغوي؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يلحق الضيم والإجحاف في تناول التراث اللغوي العربي ، فالعديد من المسائل اللغوية الغربية لا تمت بصلة بأصول اللغة العربية، فما هو موروث غربي، يختلف بالجملة عن الموروث العربي، وقد وضع عبد الرّحمن الحاج صالح مسلكا للباحث اللغوي للاطمئنان على صدق رواية اللغة قديما تتمثل في :[1]

1- الرجوع إلى الراوي
2- تصديق الراوي
3- اصطفاء المصادر وتخيّرها
4- رفض المصدر والمرجع المشكوك فيه
5- تقديم النص الأصلي
6- مبدأ التصفح
7 ـ اعتماد التصفح الكامل للنص
8- الاعتداء الجدي بعامل الزمن
9- التمحيص الموضوعي الدقيق لنظريات السانية الحديثة

فهذه الضوابط التي وضعها عبد الرّحمن الحاج صالح بعضها تراثي انطلق منه اللغويون العرب قديما في تناولهم للرواية، ومنه ما هو حديث اعتمدت على الدرس اللساني الحديث ، وضوابط أخرى تراثية بقراءة حديثة ، فنلاحظ مفهوم الرواية تم إعادة تشكيله وفق نظرة علمية فيها من التمحيص والدقة والضبط والاستقراء الجيّد للتراث. فالمقاربة الحديثة لمفهوم السماع تنطلق لدى عبد الرّحمن الحاج صالح من مقاربة تاريخية والمزاوجة بينهما، فلا إنكار ولا تغييب للثقافة العربية في إنتاج المعرفة اللغوية العربية التي تمتلك حاضرها ودوره هو فك الصراع بين القديم والحديث وتقديم السماع لدى العلماء العرب القدامى يرجع لسببين يذكرهما عبد الرحمن الحاج صالح وهما: « السبب الأول يخص اللغة والثاني يخص المنهجية العلمية، أما كيان اللغة فهو نظام من الأدلة يثبت بثبوت مستعمليه فلا كيان للغة من اللغات إلا بوجود مرجع اجتماعي (جماعة الناطقين بها) أو مرجع نصي أو كلاهما، ولا يعقل أن يدعي أحد أنه يتكلم بلغة قوم ولا يخضع لما تواضعوا عليه من لغتهم، ..والمرجع النصي في ذلك هو القرآن أولا ثم كلام هؤلاء الذين سمع منهم اللغويون العرب من كلامهم وما رووه عن السابقين منهم، ..وأما السماع العلمي مشاهدة أو نقل للمعطيات وكل

مشاهدة تدخل في المرحلة الأولى من البحث العلمي .»[2]، فتميّز واختص السماع العلمي لدى العرب ، بالمعاينة والنقل وفق معيارية تتخذ من الأفصح والأرقى اللغة الأدبية التي استمدت وجودها من مصادر حددها العلماء .

1- اضطراب الرواية : إنّ اضطراب الرواية يعدّ شاهدا على الاختلاف الكبير الذي وقع فيه العلماء القدامى، وهو ما يفحصه عبد الرّحمن الحاج صالح في تحرّيه الدقيق لمواقف العلماء في تحديد طبقات الشعراء، فالرّواية هي أس السماع وقلعته التي يستمد منها قواعده ومنهجيته ، وبعد فحص لتلك المراحل التي قطعها اللغوي العربي في جمع اللغة ونقلها من مصادرها كما توهم أو تصور بأنه ناقل لكل ما هو فصيح من عرب أقحاح نجد عبد الرحمن الحاج صالح يعقب على ذلك بقوله : « لم يكن اللغوي الذي لم يزل يبحث عن المميزات اللغوية التي يفترق بها العربي الفصيح من غير الفصيح أي حق في أن يحكم على ما يسمعه من الناطق بأنه فصيح فيتقبله أو غير فصيح فيرفضه ..، فالحكم على فصاحة فرد أو أفراد من العرب في ذلك الزمان بتحديد مكان نشأتهم يلزم منه أن يثبت أن أهل هذا المكان كلهم فصحاء ولا يتم ذلك إلا بالاعتماد على مقاييس لغوية محضة.»[3]، وهذه المقاييس حددها العلماء العرب قديما، بدءا بالسماع وشروطه الموضوعية ، ثم القياس ، هذا الأخير الذي يتكئ على السماع ويستقوى بما أوجده من محصلة لغوية واسعة ، فيعمل عليها لتتسع اللغة وتتطور وتنمو .

2- الذاكرة والحفظ : إنّ استقراء العلوم اللغوية لدى العرب قام على السماع والرواية وقد وضعت شروط لدى ناقل اللغة وتمثلت في [4]:

1- الانتماء إلى احدى القبائل العربية الستة : قيس ، تميم ، أسد ، هذيل ، وبعض من طيء وبعض من كنانة.

2- رواية إحدى اللغات المرتبطة بتلك القبائل .

3- عدم التأثر بلغات قبائل قد رفضت لغاتها .

4- انتماء الناقل اللغوي إلى الفترة الزمنية المحددة للاحتجاج .

5- أن يكون ناقل اللغة عدلا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا مثلما اشترط ذلك في نقل الحديث الشريف . واعتماد العرب على الحفظ في نقل جل معارفهم ، فلم يكن الأمر قصرا على اللغة ، وقد كانت النصوص المروية هي الأساس المعتمد في استنباط القوانين الصوتية والصرفية والنحوية،

تبارى العلماء في جمع تلك النصوص وحفظها ونقدها ، وقد خضعت الرواية لقوانين صارمة استنبطها جهابذة اللغويين .[5]، ممّا جعل الرواية لدى العلماء تضيق وتضطرب هو ذلك الاعتقاد الضني الذي توهمه العرب نحو اللغة المشتركة الأدبية أو ما يسميه الناس بالعربية الفصيحة ؛ لرد ذلك إلى مصدرين وهما القرآن والشعر والاقتناع بوجود لهجات مختلفة بما فيها لغة التخاطب المختلفة في نظرهم عن اللغة الأدبية ، كما رآها عبد الرحمن الحاج صالح ، بل ذهب بأنها فكرة غريبة عن العرب [6] ، وهذا الاضطراب في التصنيف للمصادر اللغوية، وفي تحديد اللغة من اللهجة والاختلاف في ضبط اللغة الأدبية يمكن أن نبيّنه على النحو التالي :

زمن الشاهد

ضيق اللغة أدبية

أسباب اضطراب غموض مفهوم اللغة

ضيق المصارد اللغوية

اضطراب الأصل والفرع

فهذه الأسباب قد ضيقت من اكتمال دائرة السماع اللغوي العربي ليكون علميا خالصا؛ لأنّ اللغة تنمو وتزداد ثروتها بازدياد تطور العصر وهذا ما رافق العرب في رحلتهم الحضارية؛ والعربية كغيرها من اللغات لم تختلف في التعبير عن مختلف الثقافات التي تمثلها الأبناء في تلك المراحل المتقدمة من عصر التدوين .

ب / خصائص المسموع لسانيا :إذا كان المسموع لدى العرب تمثل فيما هو فصيح فإنّ عبد الرحمن الحاج صالح حدد حقائق ودعا إلى وجوب الانتباه إليها في تحديد الفصيح ، فقد أشار إلى حقيقة عدم حصر الفصاحة في القرنين الأول والثاني وعلى أهل البدو ، وبأنّها لم تكن مقصورة على القدامى من العرب والحقيقة الثالثة والأخيرة أنّها لم تكن مقصورة على العرب الأقحاح [7]، فالمسموع وإن ضيقت مساحته لدى العلماء العرب وبالأخص علماء البصرة وحددت فترته ومصادره فإنّه يتجاوز هذه المعايير التي وضعها هؤلاء العلماء ، وذلك ما وضحه عبد الرحمن الحاج ، في العديد من النصوص النثرية أو الشعرية حين أشار إلى هذه الحقائق .

وقد نظر العلماء العرب القدامى إلى الأكثر المستعمل هو القياس لمعرفة الصحيح والفصيح والجيد كما يفهم من قصة أبي عمرو بن العلاء الذي قال له ابن نوفل يوما :" أخبرني عمّا وضعت مما

سمّيته عربية، أيدخل فيها كلام العرب، فأجاب أبو عمرو : لا فقال له ابن نوفل : وكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فأجاب أبو عمرو : أعمل على الأكثر وأسمي ما خلفني لغات " [8]

ج / نظام اللغة : للغة نظام هذا ما أدركه الخليل حين شبه اللغة بالدار المحكمة فلا يكفي السماع والرواية لتحديد ضوابطها، وقواعدها، « فاللغة أداة للتبليغ لها نظام عُرفي أي نظام خاص بها متواضع عليه فالمعرفة العلمية لهذا النظام لا تقتصر على معرفة تصنيفية تحصر عناصر اللغة بتحديد الأوصاف الذاتية وكيفية تقابلها بل تتجاوز ذلك إلى معرفة كيفية مجراها في استعمال المتكلم لها لأن اللغة وضع استعمال أي نظام المستعمل لهذا النظام ، ولهذا ضوابط تضبط هذا الاستعمال»[9]، وإن كان مفهوم اللغة فيه من الاضطراب لدى علماء اللغة العرب القدامى ، فلم يتشكل مفهوم اللغة كمصطلح يعبر عن المدلول اللساني ، فقد كانت تشير اللفظة كذلك إلى اللهجات فقد اقترنت اللغة باللهجة .

1- توافق لغة الخطاب اليومي مع لغة الخطاب القرآني : يخصص عبد الرّحمن الحاج صالح لنماذج تركيبية ممّا وصفه سيبويه فيتضح بما يقدمه من « أوصاف وتعليلات اطراد التوافق بين لغة القرآن ولغة الشعر ولغة التخاطب من حيث النظام التركيبي ويلتزم مع ذلك بذكر ما تختص به لغة الشعر ولا يوجد مثله في القرآن ولا في الكلام المنثور وهذا يمسّ غالبا جواز بعض الظواهر كفك الادغام في الشعر دون غيره عن مستويات التعبير ولا يخرجه ذلك عن أن تكون لغته هي لغة القرآن ولغة التخاطب من حيث النظام الصرفي النحوي.»[10]؛ فما نطق به العربي في تعبيراته المختلفة واستعمالاته الوظيفية للغة لا يخرج عن الاستعمال القرآني للغة، فالعربي الناطق الفصيح يألف استعماله اللغوي وفق الأنظمة والقواعد اللغوية السلمية ولا يخرج عن القوانين الصوتية والصرفية والنحوية . وينكر عبد الرحمن الحاج ما ذهب إليه بعض اللغويين المحدثين الذين اضطربوا في تحديد مفهوم الصفاء اللغوي واللغة الصافية لاعتقادهم بأنّ الفصيح هو الصافي الذي لا شوبة فيه في أصل اللغة ؛ ولأنّ لغة التخاطب التي تواصل بها العرب في زمانهم لم تكن لغة شبيهة للعامية في زماننا فهي لغة مغايرة مشتركة ، والفصيح هو ما نطق به العربي الذي لم تتغير لغته الأصلية ، وما أطلق عليه باللغات أكثرها فصيح فلا فرق بينها وبين غيرها ولم تحتقر من لدن اللغويين وينتقصون من فصاحتها وقد دخلت الكثير من اللغات في اللغة المشتركة الأدبية وهي كغيرها من لغات التخاطب تتصف بصفات منها الخف لكثرة الاستعمال والاختزال والاختصار بالحذف والقلب والإدغام

واختلاس الحركات ، فهذا من طبيعة التخاطب اليومي ، فلغة التخاطب عند الفصحاء القدامى هي نفس اللغة الفصيحة التي كانوا ينظمون بها الشعر ، والاختلاف بينهما في الاستعمال .[11]

2- تنوّع النظام الصوتي : الاختلافات الصوتية التي كانت بين القبائل العربية من طبيعة وصميم اللغة العربية، وهو لا يمثل إلا أن يكون نظاما صوتيا طفيفا بين القبائل و« التنوعات الصوتية جزئية لم تشكل أيّة وحدة منها مع غيرها من التنوعات نظاما صوتيا كاملا خاصا بقبيلة معينة، فالذي نجده في عصر الفصاحة العفوية هو نظام صوتي مشترك بين جميع العرب غير خاص بالشعر تتخلله تنوعات صوتية بعضها إقليمي يخص إحدى المجموعتين الكبيرتين من القبائل (نجد والحجاز) وبعضها لا يخص أي إقليم فيكون منتشرا في جماعات هنا وهناك في الجزيرة. وكل هذه الوجوه من الأداء توجد في لغة التخاطب ولغة الشعر على السواء وأكثرها قرئ بها القرآن.»[12]؛ لأنّ الاستعمال الشفهي أسبق من الاستعمال الكتابي وأقدم من النصوص الأدبية « فالكلام المنطوق هو الأصل أما لغة التحرير ففرع فيه، فالمنطوق وبالتالي المسموع هو الذي يرجع إليه المتعلم ..، فالاستعمال الطبيعي للغة يعتمد قبل كل شيء على المشافهة »[13]، فالاختلاف الصوتي بين القبائل العربية أو بين الناطقين قد لا يكون اختلافا بيّنا إلا بسبب حدوث بعض التغييرات الصوتية التي انماز بها نطق هذه القبائل على نحو الإدغام أو الفك أو الابدال أو الهمز أو التخفيف أو تعاقب الأصوات والحركات .

3- تنوع النظام الصوتي الصرفي : للعرب في نطقهم تباينا وتعددا في الأنظمة الصرفية وقد ذكر عبد الرحمن الحاج بعض هذا التباين مستشهدا بما كانت تتكلم به بعض القبائل العربية من ذلك : التنوع في نظام الضمائر وفي نظام أسماء الإشارة ونظام الأسماء الموصولة ونظام الفعل الثلاثي المجرّد وأنظمة الفعل المزيد ونظام المصادر والمشتقات والتذكير والتأنيث وجموع التكسير ، ويرى عبد الرحمن الحاج صالح بأنّ هذا التباين في هذه الأنظمة الصرفية بين القبائل العربية لا ينطبق على جميع ما تحتويه هذه الأنظمة الصرفية ولا تخص إلا بعض الكلمات وهي تنوعات لغوية للسان واحد ، قد تنفرد به قبيلة دون غيرها ، فحجم المشترك وحجم ما اتفق على استعماله العرب الفصحاء ضخم جدا ووافر ، فللعرب نظام لغوي واحد بتنوع طفيف في المفردات والتراكيب والتنوع الصوتي .[14]

4- توافق النظام النحوي : النحو العربي نشأ التقعيد له بسبب اللحن ، واللحن لم يكن عاما وإنما ضرب بعض الناطقين الزاحفين على استعمال اللغة العربية ، فكان النحو العربي يستمد نصوصه من الاستعمال العربي الفصيح للمتكلمين ومن الشعر العربي والقرآن الكريم ويعدّ النحو العربي كما

يقول المستشرق " دي بور " « النحو العربي أثر رائع من آثار العقل العربي؛ بما له من دقة في الملاحظة، ومن نشاط في جمع ما تفرق؛ وهو لهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره ويحق للعرب أن يفخروا به .»[15]، فهو يمثل عبقرية عربية جمعت كلام العرب وقعدت له تحصينا للغة العربية وتشريفا للقرآن الكريم .

وبعدما يتتبع عبد الرحمن الحاج صالح تلك الأبنية الدقيقة التي وصفها سيبويه وسمعها من كلام العرب وأشعارهم ومما ورد في القرآن الكريم فيجد ذلك التوافق بين لغة القرآن ولغة الشعر ولغة التخاطب في النظام النحوي التركيبي ويلتزم بما يختص به الشعر ولا وجود له في القرآن ولا في الكلام المنثور على نحو فك المدغم في الشعر دون غيره من مستويات التعبير ولا يخرج هذا عن لغة القرآن ولغة التخاطب في النظام الصرفي النحوي [16]، وهذا يؤكد التوافق في الاستعمال اللساني بين الاستعمالات المختلفة من القرآن الكريم إلى الشعر إلى لغة التخاطب بين الناطقين للغة العربية .

د / التوفيق اللساني لدى عبد الرحمن الحاج صالح : سار عبد الرحمن الحاج صالح وفق رؤية علمية دقيقة امتلك الأدوات اللسانية والمنهج اللغوي العلمي الذي يستعيد به جهد الأوائل في التفكير اللغوي وإبراز ذلك التراكم المعرفي حتى يصبح رافدا علميا غير ناقص لا يخلوا من التميز والسبق اللساني و« لكنّنا مانزال في دنيا الفكر متخلفين إلى الدرجة التي استأذن القارئ في أن أقول عنها إنّها الدرجة الدنيا التي ليس لنا فيها فكر عربي معاصر مع أنّ تراثنا يمدنّا بالخامة الولود التي يمكن أن نتخذ منها محورا لموقف عربي أصيل إزاء القضايا الإنسانية الكبرى المطروحة على الألسنة والأقلام ، ومع ذلك ترانا أحد رجلين فإمّا ناقل لفكر غربي وإمّا ناشر لفكر عربيّ قديم ، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيّا معاصرا ، لأنّنا في الحالة الأولى سنفقد عنصر " العربي " وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر " المعاصرة " والمطلوب هو أن " نستوحي لنخلق الجديد سواء عَبَرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين .»[17] ؛ فدراسة المادة اللغوية جمعا وتصنيفا واستقراء بصرف النظر عمّا هو معروف عند سوسير، ومن تبعه من أن دراسة اللغة وصفيا يعني تحديد زمان معين ومكان معين، يكونان مناط جمع اللغة ودراستها، ويطلق عليها الدراسة التزامنية، وإلى جوار هذا المنهج التعاقبي التاريخي، وقد يقع بينهما التقاء أو تداخل .[18]

فاللغة العربية في الأصل وهي ما استعمله العرب في نطقهم من ألفاظ وجمل، وليست ما قاسه النحاة. فالعرب تكلموا أولا بطبيعتهم وسجيتهم ثم جاء النحاة فقعدوا قواعدهم على ما نطقه العرب [19] ، و« إنّ المقصود من قراءة التراث ليس هو إسقاط هذه المذاهب والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة: لا نريد النظر فيما أخرجه القدامى وفي أعيننا نظارات خاصة بالعصر الذي نعيش فيه نطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب، وكل يعرف أن لكل عصر نظرة خاصة وتصورا خاصا للظواهر وكيفية خاصة للكشف عن أسرارها.»[20]، فقد توفرت في السماع اللغوي ملامح النظرية اللسانية الحديثة لاعتماده على السمع والمشافهة الذي منه انطلقت قضايا توثيق اللغة وتجميعها .

خاتمة : قرأ عبد الرحمن الحاج صالح التراث اللغوي العربي قراءة علمية ، ولم يكن متحزبا ولا متعصبا له ، ولا متنصلا لما توصل إليه العلماء العرب أو منكرا لما خاضوا فيه من تمحيص للغة العربية حسب ما امتلكه هؤلاء العلماء من جهود ساعدتهم على ما رأوا أنهم يصون لغتهم ويحفظها من الضياع بتلك القواعد المعيارية الصارمة ، وعبد الرحمن الحاج صالح هو المجدد والمحافظ ، وقد رأى في السماع اللغوي عند العرب هو سماع علمي توافرت فيه كل القيم العلمية والأسس المعرفية .وتتمثل هذه القواعد والأسس في اجماع اللغويين العرب على قوة المسموع في الاستعمال والاحتجاج به ، والاستعمال على اختلاف وظائفه شعرا أو نثر أو حتى في التوظيف التخاطبي من أنجع مقوّمات اختزال اللغة والمحافظة على سلامتها ، وقد تتبع اللغوي الحاج صالح كل الشواهد التي دونت اللغة العربية ، سواء كان ذلك في الكلام المطرد أو غيره ، فتوصل إلى أهمية العنصر البشري والبيئي والزمني وأورد بأنّ السماع اللغوي لا يختلف بين الأطراف التي اهتمت بجمع اللغة إلا من حيث التساهل أو التضييق بين اللغويين ، وقد أشار إلى أهمية الإحصاء في تدوين وتقدير الشيوع وتناول تقنيات السماع في جوانبها السلبية والايجابية ، ودقة التحرّي التي رافقت المسموع .

الهوامش :

[1] – ينظر : عبد الرّحمن الحاج صالح : السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، د.ر.ط ، 2007م ، ص 8 ، 9 .

[2] - عبد الرحمن الحاج صالح : منطق العرب في علوم اللسان ، موفم للنشر، الجزائر ، د.ر.ط .، 2012م ، ص 104 .

[3] - عبد الرحمن الحاج صالح : السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، ص 136 .

[4] - ينظر : شنوقة السعيد : في أصول النحو العربي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2008م ، ص 49 .

[5] - ينظر: إسراء عريبي الدوري ، ابن جني ناقدا لغويا ، دار أسامة للنشر، عمان ، الأردن، ط1 ، 2011م ، ص 21 .

[6] - ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ، ص 147 .

[7] - ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح : المرجع نفسه ، ص 69،70،71 .

[8] - الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، ص 39 .

[9] - عبد الرحمن الحاج صالح : السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، ص 21 .

[10] - عبد الرّحمن الحاج صالح : المرجع نفسه ، ص 225 .

[11] - ينظر : المرجع نفسه ، ص 176، 177.

[12] - المرجع نفسه ، ص229 .

[13] - عبد الرّحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، د.ت.ط ، 2012م ، ص 176 .

[14] - ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ، ص 245 ، 246، 247 ، 248.

[15] - دي بور ـ ت ـ ج ـ: تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1954م ، ص 59 .

[16] - ينظر : عبد الرحمن الحاج صالح : السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، ص 225.

[17] - عبد السّلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1986م ، ص 12

[18] - مؤيد آل صوينت ، عارف الساعدي ، انسجام المعرفة اللغوية ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1436هـ / 2015م ، ص 163 .

[19] - ينظر : عيسى شحاته عيسى علي : العربية والنص القرآني ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، مصر ، د.ت.ط ، 2001م ، ص 41 .

[20] - عبد الرحمن الحاج صالح : السماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، ص 8.